

ورده ايار

رسالة حررها

البرديوط شكرالله صفير

بمناسبة شهر ايار المبارك تكريماً للعذراء القدوسة

سنة ١٩٣٦

[no 47. May 1936]



فهرس

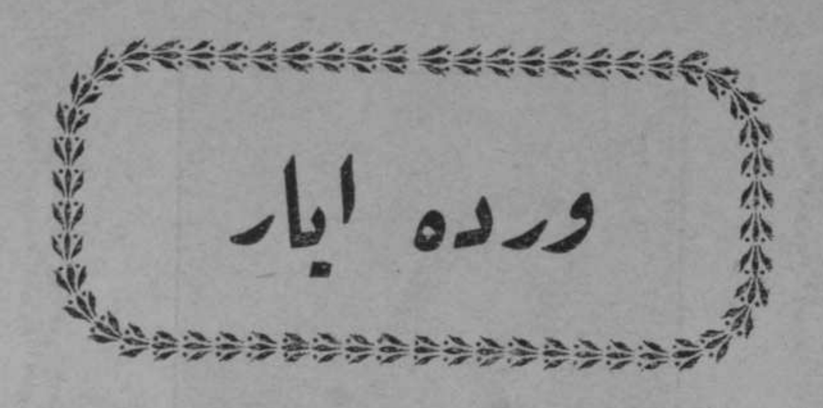
مطبعة راتزبوند. القدس

لِيُطبَعْ

المنسنيور يوسف مرقص

النائب البطريركي

اورشليم في ٢٥ نيسان ١٩٣٦



ورده ايار

رسالة حررها

« البردبوط شكر الله صفير »

لمشتركي نشرة مار منصور دي بول الشهرية التي تصدر في القدس

بمناسبة شهر ايار المبارك

قد لذ لي وطاب ان اكتب بمناسبة وجودي بالارض المقدسة في شهر ايار هذه الكراسة الوضيعة الوجيزة عن غادة المشرق وردة ايار السرية والدة الله مريم. فوان كانت كثيرة هي تآليف العلماء ومجلدات اللاهوتيين الذين احتكروا الاصالة وكتبوا عن امنا العذراء الفصول المسهبة. فالنفوس المنشغفة بحب ام الله لا تمل من القراءة باحترام وعبادة. كل ما يكتب عنها ويقال في عجائبها واخبارها.

حررت هذه الرسالة في غرة هذا الشهر المكرس لاكرام العذراء، لقرّاء نشرة مار منصور الشهرية التي احررها في القدس، بدلاً من عدد شهر ايار، بمثابة ابتهال الى سلطانة الكرة الارضية. المفعم قلبها حناناً على البشر. لرفع الغضب الذي يهدد العالم شرقاً وغرباً ولتفيض غيوث بركاتها على جمعية ابناء مار منصور دي بول في هذه الايام العصيبة فتنيلهم قوة مواصلة الجهود في ميدان الشفقة والانسانية وخدمة دائمة لتخفيف احزان البلاد. وتسكين آلامه وويلاته.

فمن حنو قلب سلطانة السلام. يرجع الى العالم المضطرب الهدؤ والسلام. وبمضاعفة المحبة لها. واستعطافها بالاعمال التقوية. وحمل ايقونتها. وتلاوة ورديتها يومياً ولا سيما في شهر ايار المخصص لاكرامها. تمطر على البشرية المذعورة من اهوال الحروب والاضطرابات وابل ورودها وتحمينا وتخلصنا.



العذراء المنتخبة

منذ البدء

« الرب حازني في اول طريقه ِ قبل ما عمله منذ البدء * من الازل مسحت من الاول قبل ان كانت الارض * ولدت حين لم تكن الغمار والينابيع الغزيرة * قبل ان اقرّت الجبال وقبل التلال ولدت * اذ كان لم يصنع الارض بعد ولا ما في خارجها ولا مبداء اتربة المسكونة * حين هيأ السماوات كنت هناك وحين رسم حداً حول وجه الغمر * حين ثبت الغيوم في العلاء وقرر ينابيع الغمر * حين وضع للبحر رسمه فالمياه لا تتعدى امره وحين رسم اسس الارض وكنت عنده مهندساً »

امثال ف ٨

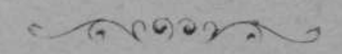
ان ما سبق الله القدير واعده لابنه المتجسد. قد سبق وهيّأه ضرورة للابنة المنقطعة النظير التي عند حلول الزمن سوف تلده ولذا قد عزى علماء الكنيسة هذه الآيات الى والدة كلمة الله غادة الشرق ارزة لبنان الوردة السرّية. فامام هذه

العظائم. أما يقف الفكر البشري حائراً فاقداً كل بيان وقريحة؟

وهل يعد للقلم مجال ليخطّ وصف محاسن ام الله المتجسد؟

فالفكر يحار. واما القلب فيتهلل غبطة وسعادة. لان هذه العظائم هي لابهى المخلوقات. واعز الامهات. هي لام الله. لام الكهنة. لام ابناء الكنيسة المقدسة كافةً.

لقد تقدمت هذه الام الالهية وانتشلت من يد السماء الغاضبة سيف النقمة. والقت العفو والرجاء. والصلح والسلام. ثم انعطفت على البشرية الساقطة بنظرها الحنون منحنية بالحب الوالدي تحامي وتتشفع باللغة البشرية. واللهجة السماوية. من طريق بيت لحم الى الناصرة وعلى الجلجلة وتحت الصليب. والان في اوان هذا الاضطراب تلقي للصلح والسلام اذا كنا نتقدم اليها بثقة طالبين مراحمها.





العذراء فى صهيون

نزلت مريم من جبل الزيتون برفقة الرسل الاطهار الى علية صهيون فور

صعود ابنها الى الاعالي السماوية بناء على وصية الرب لهم بان لا يبارحوا اورشليم بل فلينتظروا حلول الروح القدس كما جاء في سفر اعمال الرسل ف ١:١٤ «هؤلاء كلهم كانوا مواظبين على الصلاة ... مع مريم ام يسوع »

واذ اصبح المؤمنون بالمسيح من بعد صعود مخلصهم ايتاماً على هذه الارض لان الروح المعزي لم يكن قد اتاهم بعد. اجتمعوا حول امه القدوسة للجلوس معها. والتحدث اليها. ولكي يثبتوا بايمانهم الجديد بواسطة عجائبها الكثيرة ظلوا يجمعون الصفوف ويتوافدون الى حيث هي غير عابئين باضطهاد المضطهدين. وانتقام المنتقمين.

واما الرسل فتهافتوا اليها. مستخبرين منها عما جهلوه من اسرار حياة ابنها البدائية بوفرة معلوماتها الوالدية.

فاخذت العذراء تسرد لهم اخبار ذلك بالتفصيل بعضه مسهباً وبعضه موجزاً. فكلمتهم اولاً عن كيفية مجي الملاك جبرائيل اليها. وعن المحاورة التي جرت بينه وبينها. ثم عادت الى بيان زيارتها القديسة اليصابات في جبل يهوذا. والهرب الى مصر. والرجوع الى الجليل. ولم تكتم عنهم قيمة عذابها وألم مرارتها يوم تخلف عنها القدوس في هيكل اورشليم. وكيف وجدته بعد ثلاثة ايام يناظر العلماء ويجادلهم ويسمع منهم ويسألهم كما دوّن ذلك القديس لوقا في انجيله مفصلاً.

ولقد كان ساداتنا الرسل الاطهار يحاولون ان يعرفوا من ام الله اسرار حياة ابنها في الناصرة وتفاصيل حياته المستترة وهو بقربها. لكنّ تواضع العذراء أبى ان يذيع ذلك. ولذا ظلت الاستار على حياة يسوع الشاب في بيت ناصرة الجليل وفي دكان النجارة مسدولة.

أما الذي صرّحت بهِ العذراء فهو: «ان يسوع كان ينشو بالقامة والحكمة عند الله والناس»

ولما بزغ في علية صهيون فجر اليوم العاشر لصعود المخلص الى السماء. سبقت سلطانة الانبياء وعرفت بالسر العجيب كما ان الرسل كافة شعروا بذلك فاستغرقوا

بالصلاة ومضاعفة الاستعداد.

وما ازفت الساعة الرابعة من النهار — التي تقابل الساعة التاسعة قبل الظهر من حسابنا الحاضر — إلا وهبت العواصف مزمجرة. وتلاطمت الارياح مرعدة. ونزل الروح في الغرفة الصهيونية التي قدس بها كلمة الله سر جسده ودمه. على شبه أَلسنة نار واستقرت على واحد فواحد من المجتمعين مبتدأة بالعذراء مريم فالرسل. فالتلاميذ. فالنساء.

لقد تجمّل الرسل بحلول الروح البارقليط عليهم. وسرت مفاعيله في افئدتهم ونالوا قوة الثبات بايمانهم الشريف وبذلوا نفوسهم لاجله بفرح.

أما العذراء فمن يمكنه ان يخبر عن الكمال الالهي الذي حلّ وقتئذٍ بها؟

فلكي نتمكن من اذاعة هذه المدهشات يقتضي انتظار الوصول الى السماء ورؤيتها الابدية!

ومن بعد ان اصبحت العذراء ممتلئة من كثرة النعمة التي تؤهلها الى كل الامجاد السماوية شاءت بعطفها ان تمدد بقاءها على هذه الارض بين اولادها بالنفس والجسد مدة ليست بوجيزة.

ولقد كان هذا التمديد لازماً للكنيسة الحديثة من كل وجه ومن الواجب ايضاً ان يؤدى لام يسوع ما نابها في شهادة الحق عن حوادث الانجيل.

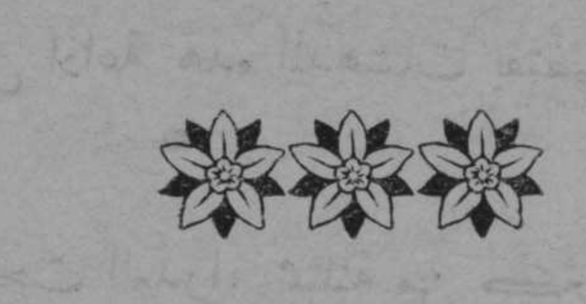
ولقد اخبرنا التقليد بان اهل اورشليم كانوا ينظرون العذراء تأتي في كل يوم مستندة على ذراعي يوحنا الحبيب ماشية في شوارع اورشليم وبخطوات بطيئة كانت تسير في درب الصليب من بستان الجسمانية الى قصر بيلاطوس حتى اعلى جبل الجلجلة وكانت تقف في كل مرحلة من المراحل الاربع عشر التي وقف بها ابنها الحمل الذبيح مصلية عن ابناء الكنيسة ولذا اتخذ ذاك المكان اسم «طريق ستنا مريم» الى اليوم.

ومن المؤكد بان العذراء لدى كتابة الاناجيل لم تقف موقف الحياد بل انضمت الى جماعتهم وسطرت فيه صفحات كتسبحتها القائلة « تعظم نفسي للرب » فهي ولا شك قد كتبت من املائها بل كانت مترأسة على الرسل الذين لم يكونوا يبدون امراً مهماً إلا بمشورتها ورأيها.

لقد اقامت العذراء باورشليم وفيها تنيحت كما يخبر التقليد. وفي علية صهيون قد تناولت جسد ابنها الالهي المحجوب تحت الاعراض السرية من يد التلميذ الطاهر والرسول الحبيب. وقد قال لها عند المناولة:

يا امرأة:

هذا ابنكِ الحامل خطايا العالم!



مريم هي امنا

« يا امرأة » يوحنا ف١٩ : ٢٦

يا امرأة نادى المخلص، وهو مرفوع على الجلجلة ومسمر فوق الصليب، امه القدوسة مريم العذراء.

وكيف لا يناديها؟ ألا يضاعف المشرف على الموت حبه لمحبيه. وتزداد بهم جوارحه انشغافاً. ويزيدهم عليه عطفاً واشفاقاً؟

لقد انذهل البعض من المؤمنين كيف انهم لم يجدوا على شفتي المخلص المنازع في تلك الساعة المهيبة لفظة العذوبة والحلاوة. لفظة امّ. لامه المتأوهة الباكية

الغارقة في الاحزان.

لقد جهل هولاء المنذهلون بان تلك الساعة لم يكن فيها المسيح لامه كطفل بيت لحم وكفتى ديار الغربة بارض مصر. وكشاب ناصرة الجليل.

والعذراء لم تكن اماً ليسوع فحسب على الجلجلة تحت الصليب بل اضحت وقتئذٍ الامرأة السامية القدر. الامرأة التي تكلمت عنها التوراة. الامرأة التي صار بها الوعد في جنة عدن. الامرأة المعدة لسحق رأس التنين الجهنمي. الامرأة حواء الجديدة ام الخلائق كلها التي تجددت في تلك الساعة بالدم الالهي المسفوك على الجلجلة.

لقد جاءت العذراء تحت الصليب ليس فقط لتخفيف شدائد نزاع ابنها. بل جاءت لمشاركته بسر الفداء اتت لتستلم منه عند خروج نَفَسه الاخير صك تبنّي بني البشر اجمعين.

عميقة جداً هذه الكلمة الاخيرة التي سمعتها مريم من فم ابنها «يا امرأة» فمن بعد ان ضحّى نفسه وبذلها عنا. قدم امه لجميعنا!

اما مريم فرفعت عينيها الدامعتين. واجابت بعبراتها بانها قبلت هذه التضحية السامية. وارتضت ان تكون اماً لجميعنا!

قد يُحرم الانسان من زوجة واخت وغيرهما. واما من أمّ ٍ فلا. وكيف يمكن ان يكون الانسان بدون ام؟

ومن نكّدته الايام. وشبّ بدون ان يعرف امه. فهذا ولاشك نقصه الذّ شيء من افراح هذه الحياة. وان علل النفس بلتقائها. والتعرف بها في العالم الآتي!

واما من اسعده حظه وعاش في ظلال عناية وحنان امه. وقضى ايام حداثته على ركبتيها. واشبعت خديه من قبلات شفتيها. فايّ شكر يقدم للسماء على هذه المنة وهو الذي تلقّى ونال قبلاتها كعربون بركات العلاء. ومحبة الخير. وبغض الشر.

واذا سُئل من ربّك. ألا يجيب الانجيل وامي؟

ولكن ان لحب الام مرضان لادواء لهما. ولا شفاء منهما. وهما: العجز والغرور. اي الضعف والقصور.

ترى الام ابنها مريضاً. ولا تتمكن من شفائهِ. فيذهب تعبها جزافاً وتكتفي بحسن خدمته. والبكاء على وجعه.

واذا اصيب بألم النفس فهل تدري؟ لقد تكتنف الشاب احياناً الهموم الشاقة. فينفرد بها. ولا يطلع احداً عليها. واذا فيما بعد عرفت بحزنهِ امه فتكون يا للاسف اخذت الدودة تنخر بالثمر.

ضعيفة هي وقاصرة المحبة الوالدية. ألا يضطر الولد بسبب اقتباس الدروس. وتدبير المهنة. والسعي وراء الوظيفة. مغادرة امه بالسفر مع امل الرجوع اليها يوماً؟

ويا للتعاسة! كم من الذين غادروا الوالدة بنية العودة لمشاهدتها ولدى الرجوع لم يتمكنوا من ارواء لهيب حبهم لانها تركت الى النهاية بيتها وبنيها! وجعلت افراح ولدها ناقصة. واحزانه موجعة. لان والدته التي يحبها ليست بالوجود لتقاسمه الافراح وتساعده على احتمال الاوجاع.

أما يسوع فقد اعطى للبشر امّاً قادرة. تشفي الجسد من امراضهِ. وتبرئ القلب من عواطفه. وتغسل النفس من اوساخها. ودائماً تسير معنا اينما كنا فاتحة الذراعين. لتضمنا بالحنين تحت برفير حمايتها.

وعند نومنا تسهر جالسة منحنية فوق رؤوسنا.

وعند الساعة الاخيرة الرهيبة. ساعة الرحيل من هذه الدنيا. ننام النوم الاخير في حضنها. ونستيقظ في السماء!





مريم على الجلجلة

وكانت واقفة عند صليب يسوع امه

يوحنا ف ١٩

لقد اسودت الشمس على الجلجلة ساعة نزاع المخلص وحجبت نورها لهذا المشهد الفظيع. وتغطت السماء بالظلام ورعدت الصاعقة بقصف هائل. ومادت الارض من اساساتها. وبعض الموتى قامت من قبورها وجالت في شوارع اورشليم مستنكرة قتل المسيح.

وامام انقلابات هذه المخلوقات كلها مريم وحدها ظلت « واقفة » بحزنها البليغ ولكنّ نفسها قد تسلطت على الحزن وارهبته.

نرى يسوع الفادي من بعد ان ودع امه بالناصرة لم يعد يستدعيها اليه. ففي تجليه على طور طابور لم تكن معه. ولدى دخوله اورشليم بالهتاف وباصوات اوشعنا

لم تكن حاضرة. وما شوهدت على مائدة العشاء السري بين الاثني عشر.

واما عند ساعة الموت! لقد اراد الفادي ان تكون امه واقفة عند صليبه.

يا لحسرة الام من مشاهدة الابن منازعاً! على فراش الموت وهي تحيطه بما لديها من عناية وتشبعه من تقبيلاتها!!

واما مريم فكان ابنها يسوع معلقاً على خشبة. لاوياً جسده على مسامير جافية هشمت لحانه ومزقت كفيه. الدم يجري من رجليه ويديه ووجنتيه وهي لا تستطيع مسحها!!

فمه محروق بحمة العطش وقد سمعت صوته المفتت يقول «انا عطشان!»

ولم تجد هذه الام المسكينة كأس ماء لتروي عطشه.

ولما احنى الرأس لم يكن لها من وصول الى جبينه لتطبع عليه قبلة وداع الام!! عند لفظه نَفَسه الاخير!!

واما تعزيتها الوحيدة فكانت التفاتتها نحونا. واستدعاؤها ايانا للشفقة عليها قائلة: «يا عابري الطريق هل رأيتم وجعاً مثل وجعي»

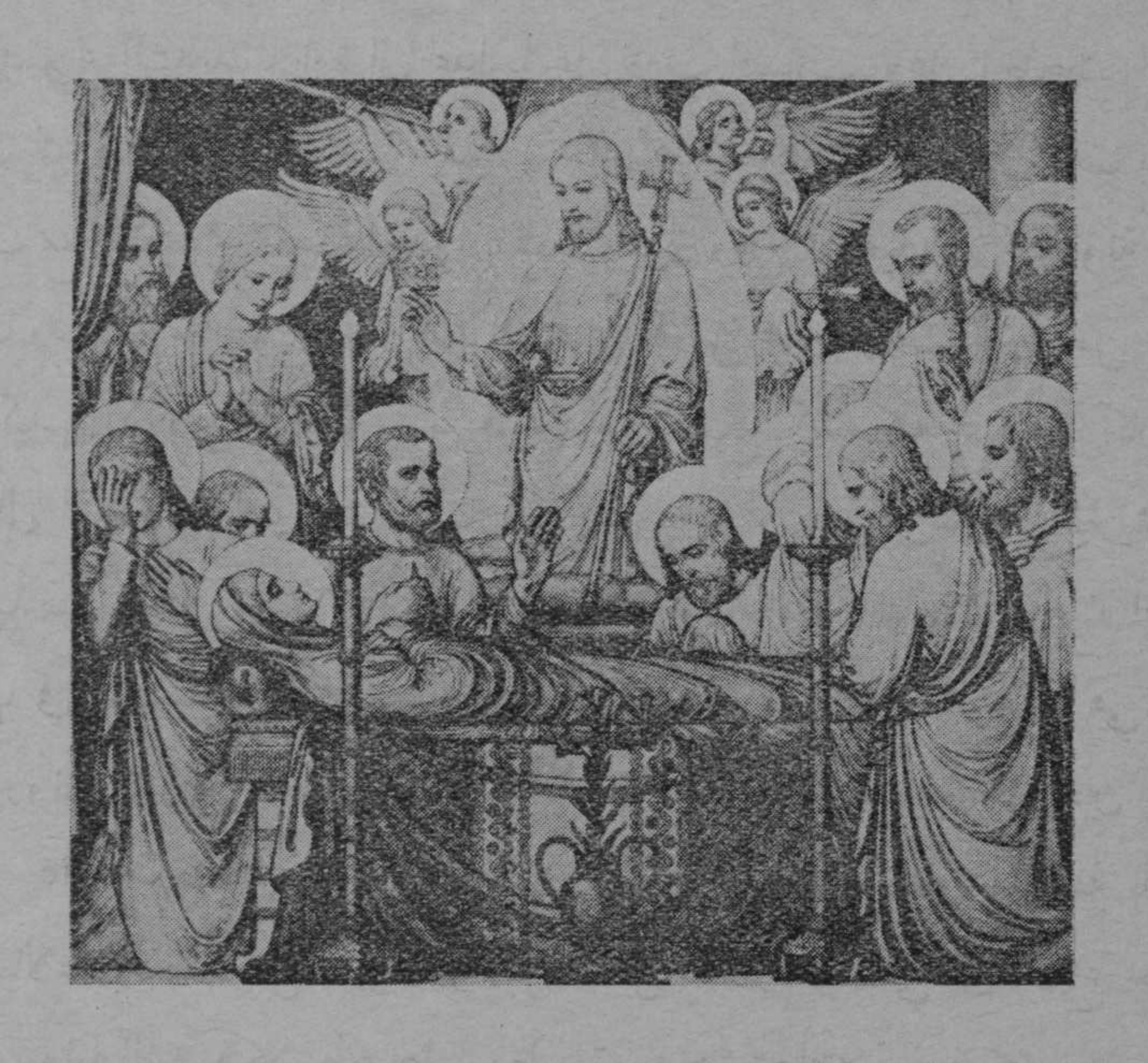
لقد طلب الرب من ابراهيم ان يقدم اسحق ابنه ذبيحة ولكنه لم يكن يطلب ذلك من سارة. وهل يطلب من ام دم ولدها؟

أما مريم العذراء فقد طلب الرب منها ابنها ذبيحة عن البشرية!!

فمن بعد ان نظرت مريم باقصى حزنها الى ذلك الجبين الذي طالما طبعت عليه قبلاتها بالحب والعبادة. والى تلك العينين اللتين اذابتا قلبها حباً. والرجلين اللتين جدتا سائرتين وراء الحزانى والتعساء والمجرمين. واليدين اللتين ما ارتفعتا إلا لمنح البركة واعطاء المسامحة. وذلك القلب الطاهر المفتوح بجرح المحبة وجملة ذلك الجسد المقدس الذي طالما احتضنته بالحب الفائق وحملته على ذراعها تركت النساء اللواتي كنّ يتبعن المخلص ينظرنَ عن بُعدٍ. واقتربت فوقفت تحت الصليب ليس وقفة

حمل المحرقة بل وقفة من يقدم المحرقة وبالاتحاد مع ابنها ضحّت للغاية التي هو لاجلها ضحّى نفسه مشتركة بذات الحب الالهي عينهِ ورفعت عينيها الى السماء وقالت:

بما انه لم يعد يوجد على الارض ذبيحة تكفّر عن الخطايا: فهوذا ابني !!!



انتقال العذراء

من بعد ما شاهدت العذراء مريم في اورشليم على جبل الصعود انفتاح السماء وموارة ابنها يسوع في امجاد عزته العلوية. ظلت على هذه الارض في القدس الشريف بناء على تقليد امنا الكنيسة المقدسة مدة لا تنقص عن ١٥ سنة تضيء

عليها ككوكب منير في غياب البدر الساطع وتغذي ابنائها الذين كانوا لم يزالو بعد اطفالاً في الايمان بتعليمها وقدوتها المقدسة.

ولما كانت رسالة هذه الام المحبوبة قد كملت. ومهمتها قد انتهت. واوردت على مسامع الرسل «كل ما كانت تحفظه في قلبها» وكتبوه في اناجيلهم. اراد عزّ وجلّ. ان تنتقل امهُ بالنفس والجسد الى السماء. والرسل لما شاهدوا امهم السماويه قد قبلت بالحب منفاها الشاق بعد صعود ابنها. وسمعوا عذب كلامها. واضافتها ألم فراق يسوع الشديد المرارة الى عذابها على درب الصليب وعلى الجلجلة. وتحت الصليب لتواصل الاشتراك بسر الفداء. جدد عندئذٍ هولاء الرسل الثبات بايمانهم الشريف مع تلاميذهم الجدد واخذوا بنشاط يبثون روح الانجيل في المسكونة كلها.

ولما وصلت ام يسوع الى زهاء الستين سنة من عمرها زادت اقتراباً من السماء. وصار كيانها الارضى يتناقص يوماً فيوماً حتى اصبح كأنه كله سماوياً بل كان يخال للناظر الى ام الله انه لدى مشاهدتها كمن يرى رؤيا او ظهوراً سماوياً اكثر مما كان يرى فيها صورة بشر على الارض. والمؤمنون الاولون حفظوا لنا ذكرى هيئة العذراء وملامحها في عهد بداءة الكنيسة من بعد صعود ابنها الى السماء فمثلوها كما هي: بجمال انيق. ورونق سماوي. وجلال وهيبة مدهشة. وقد قال احد مشاهير المؤرخين المسمى نيسيفور Nicephore Caliste لقد كانت هذه الام الممتلئة نعمة. متشحة بالوقار. متجلية بالاعتبار مفعمة من الشرف والنبل. تقلل الكلام وتصغي الى استماع حديث محدثيها. واما الشر فكان يذعرها. وظهرت يداها شفافتين مصفرتين وبان نظرها متعمقاً بالدموع واضحت كل ملامحها متشحة بكل انواع دلائل العذاب التي رافقتها زمناً من العمر ليس بيسير.

واذ كان قد حان الوقت لوضع حدٍ لعذاب فراقها عن ابنها. وازالة الموانع التي تحول دون ملتقاه صار انتقالها من هذه الحياة الزمنية الى الحياة التي لا زوال لها.

وطريقة نياحتها كانت على هذا المنوال:

في ذلك الزمان ارسل الملاك جبرائيل الى مريم من عند ابنها يسوع كي يبشرها ببلوغ غايتها. وحلول ميعاد ملتقاه بها. وانتقالها اليه. فامتلأ قلب مريم بهجة لهذه البشرى. وتهللت بالروح ومن ثم اخبرت انسباءها واصدقاءها وتهيأت لساعة الانصراف العظيمة المحبوبة!

كانت العذراء تسكن مدينة اورشليم في جبل صهيون ببيت اعده التلميذ الحبيب والرسول الطاهر مجاور لجماعة مسيحيي اورشليم الوجيهين الذين تربطهم بالعذراء علاقة القرابة والصداقة وملاصق للعلية التي بها رسم سر الافخرستيا ليلة العشاء السري ويقال بان هذا المنزل كان يخص ام القديس مرقس.

وقد بني في هذه العصور على انقاض هذا البيت دير جميل لرهبان البنديكتان الالمان الافاضل وكنيسة فتانة حاوية كل اساليب الهندسة والاتقان تكريماً لمكان نياحة العذراء — وليس موتها — كما سماه مسيحيو الشرق سابقاً ويسمونه الان بيت:

نياحة العذراء

LA DORMITION DE LA VIERGE

فمن بعد ما تقدمت مريم وتمددت على فرشتها تمدد الراحة متأهبة لانتقالها السماوي حضر يوحنا الانجيلي والرسل الذين اتوا من اقاصي البلدان الى اورشليم بمجرد قوة الله وارادته الى حيث كانت والدته المشرفة على الموت لكي تودعهم وتحثهم على انتشار الايمان المسيحي وتباركهم. وقد اوصت باعطاء ثوبها لبعض النساء الارامل في جيرتها اللواتي اظهرن لها حباً تقوياً وقدمنَ لها بعض خدمات منزلية.

واذ رأت العذراء ذاتها محاطـة بالرسل من كل ناحية ... ودعتهم بلطـافتها السماوية الوداع الاخير. واستودعت جسدها للموت على فراشها رافعة يديها المباركتين نحو السماء مقدمة جسدها المعتبر قائلة: « فليكن لي حسب قولك » وبينما هي على هذا الحال نزل ابنها الالهي لملاقاتها من أعالي سماواته تواكبه اجواق الملائكة فلدى رؤيتها يسوع ذاب قلبها بشدة المحبة. وانفصلت نفسها من جسدها وللحال ظهرت راقدة رقاد الموت.

فتقدم الرسل والحاضرون وتباركوا من هذا الجسد البتولي مقبلينه بعبادة واحترام. ذارفين الدموع.

وقد ذكر القديس يوحنا الدمشقي ان كثيرين من المرضى المؤمنين بل اليهود الغير المؤمنين ايضاً نالوا الشفاء باكرامهم جسدها.

وقد نقلها الرسل الى الجسمانية ووضعوها على شبه ابنها يسوع في قبر.

فليتمهل القارىء هنا — ويتمعن في اعماق قلبه كلما قاست هذه الام القدوسة في سبيل ابناء الكنيسة ليتمكن ان يناديها بالدالّة المسيحية.

يا امي !

ان العذراء المباركة لم تلبث في المقبرة حيث وضعها الرسل. فوان كان انتقالها بالنفس والجسد ليس هو عقيدة من الايمان لكنه هو اعتقاد عام وجسارة هي نكرانه.

جميل هو هذا الاعتقاد فهو يطابق اشد المطابقة لعقيدة الحبل بلا دنس!

لقد قال بوسيه Bossuet اليس الجسد البشري هو اشرف مخلوقات الله المادية. فبدون الخطية لم يكن يرى فساد القبر.

وقد اخبر الرسل بانهم لما هموا بالرجوع الى اشغالهم جاء القديس توما من بعد ثلاثة ايام لدفنها لانه كان متغيباً وطلب ان يفتحوا له القبر ليتبارك مرة اخرى

من جسد العذراء المقدس.

واذ فتحوا القبر فلم يجدوا فيه الجسد. بل رأوا الاكفان وحدها مطوية وموضوعة على حدة كما في قبر المسيح فعبقت من القبر رائحة عطرية فاخذ اذ ذاك الرسل الاكفان باحترام. وبما ان جسدها البتولي بري من الاثم فلم يرَ فساداً. بل رجعت روحها الى جسمها المقدس وانتقلت الى السماء بالنفس والجسد.

لقد مكثت العذراء في القبر ثلاثة ايام كما مكث ابنها نفسه واما في صباح اليوم الثالث فكان انتصار العذراء العظيم كما تعلمنا الكنيسة في اسرار المجد التي تنتهي بهذه الكلمات:

اكليل مريم سلطانة على السماء والارض.

فلما رجعت نفس مريم الى القبر حيث هو جسمها الراقد التحف بلحظة عين بكل قوى الجسد الممجد ومن المحقق بان ذلك لم يكن بقوتها الذاتية. كما صعد المسيح الى السماء ولكنه كان بقوة فائقة الطبيعة اتتها من الله.

فنزلت الاجواق السماوية كراديس لاعدد لها لتواكب انتصارها العظيم. وليس لمساعدتها لانها لم تكن باحتياج لمساعدة الملائكة لها اذ اتخذت طريق ابنها في صعودها الى الاعالي.

لقد غادرت هذه الارض التي طالما بها ذاقت مرّ العذاب وذرفت حرّ الدموع. ومع ذلك ظلت متعلقة بهذه الارض. ارض الناصرة. وارض بيت لحم. وارض الجلجلة وستبقى هذه الاماكن الشرقية كلها محبوبة لديها اكثر من الدنيا كلها.

وبسرعة البرق الذي يظهر في المشرق. ويبان في المغرب. ارتفعت العذراء فوق العالم المنظور والغير المنظور. وكانت تظهر الهية بكل لحظة من هذا الصعود. اجمل وانقى واكثر ضياء مما كانت على الارض.

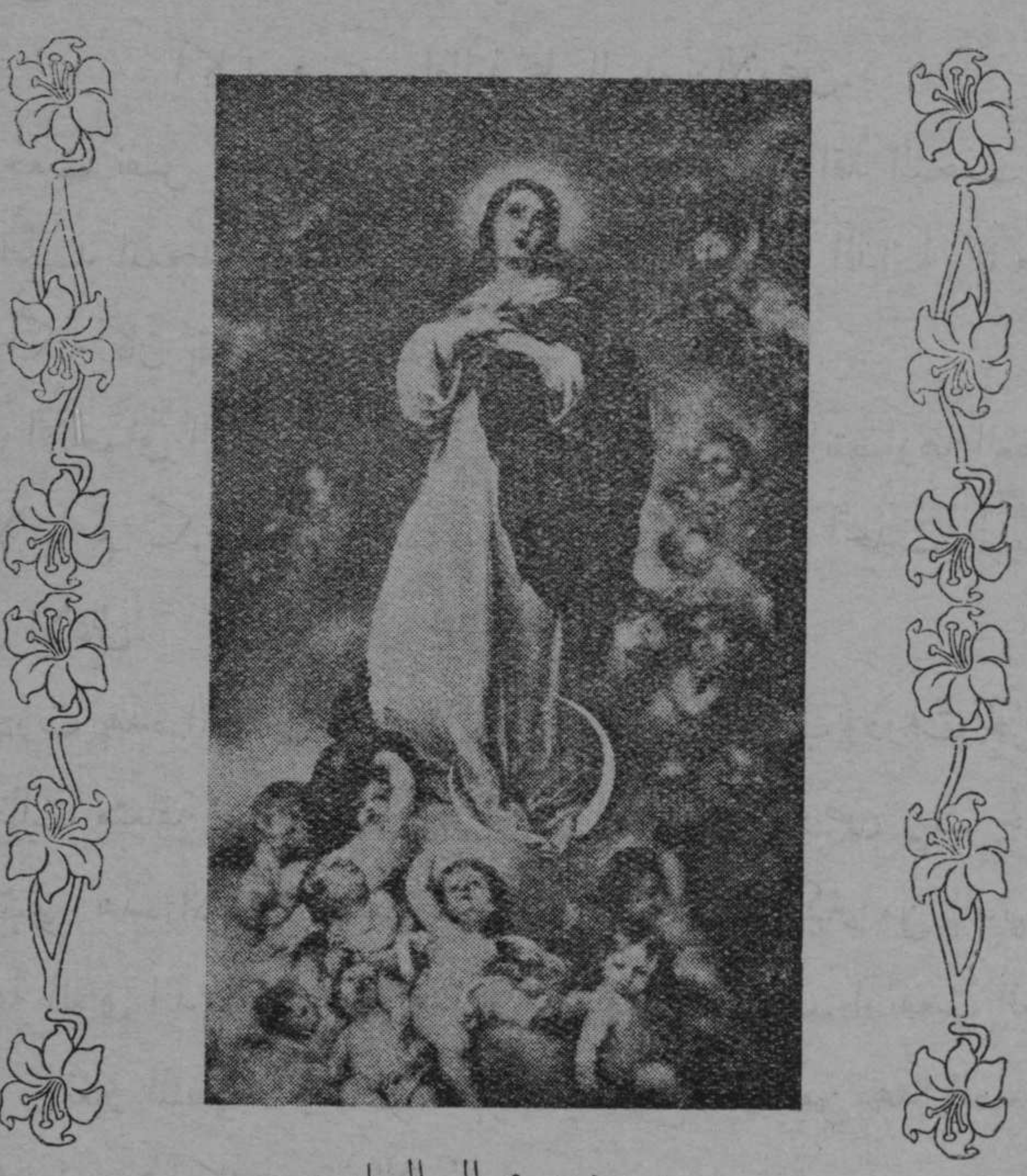
فالقديسون احتفوا بها كملكتهم. والملائكة كسلطانتهم. والسماء كلها

كسيدتها العظيمة.

واما مريم فكانت معظمة كملكة. ووديعة كولدٍ. وكأنها رددت ثانية انشودتها في جبل يهوذا « تعظم نفسي للرب » لانه صنع بي العظائم

من يمكنه ان يخبرنا كيف قابل يسوع امه ؟!

فعباراتنا الضعيفة الارضية تقف صامتة امام هذه العظمة. امام منظر الملائكة الرباعيو الوجوه السداسيو الاجنحة الذين رنموا ترنيم الظفر فبلا شك لقد سجدت امام ابنها حانية رأسها كما قابلت سابقاً ملاك الناصرة مرددة كلامها: « كيف يكون هذا »



صعود مريم الى السماء

لكن يسوع تقدم ووضع على رأسها تاج الملك السماوي وهي فتحت له ذراعيها وهكذا اتحد الابن والام !! وليس لاتحادهما بعد من فرقة !!

قال صاحب سفر الرؤيا: أمرأة ملتحفة بالشمس. دائسة على القمر. على رأسها اكليل من ١٢ كوكباً. فمن اعماق جزيرة بطمس تهلل يوحنا في اضطهاداته لانه رأى انتصار تلك التي قد رآها سنين عديدة عائشة بقربه.

ان سر انتقال مريم الى السماء. هو كسر صعود المسيح الى السماء.







العذراء بين اولادها

ليس من حاجة الى علماء اللاهوت في مدارسهم. ولا الى الاباء القديسين في تواريخهم. ولا الى الكنيسة المقدسة في رتبها وطقوسها لتعلمنا وتذيع على مسامعنا

بان ام يسوع لم تزل بيننا بعد انتقالها الى السماء بل هذه حقيقة تولدت بنفس كل واحد منا لدى قبوله سر العماد المقدس وتأصلت في ذاكرته وهي تنمو بنا بتأثير الضمير كلما نمت قامتنا وتقدمنا بالايام. وقد اصبح من السائد في عقول الكثيرين ان كل نعمة اتت اليهم هي نتيجة وساطة هذا الام الحنونة.

فالفتى الصغير. لدى تقبيله الايقونة المباركة التي وشحته بها يدٌ نقية. ونفس كريمة. يتحقق بانه الى ام يسوع يعطي قبلته التقوية.

والفتاة التي تحمل في كل مكان سبحة العذراء تتأكد بان سبحتها هذه هي سلسلة الماس تربط نفسها. وتقيد قلبها. وتغلل عواطفها بقلب ابهى البشر واشرف الامهات.

والشاب الذي يبتغي ان يظل طاهراً عفيفاً طابعاً نفسه بطابع الحكمة والنقاوة بعيداً عن الدنس والاميال البدنية. محافظاً على بساطة صبائهِ ولا يريد ان يميل إلا الى ما كان شريفاً عظيماً كريماً. يرى هذه الام النقية امامه. لما يركع امام هيكلها بالقرب من تمثالها فيسر بانها تستمع ابتهالاته وستساعده على مقاومة تجارب الشرير وتنصره على شهوات الجسد.

والمريض المضنوك باوجاعهِ الذي يلتمس تفريجاً لكربتهِ. يعرف بان لديه أمل بالحياة والصحة لما يصرخ هاتفاً «يا عذراء» انتِ قادرة ان تخلصيني ولدى حصوله على النجاة فدموعه تذيع اكثر من كلامه بان العذراء كانت معه ومن يد الموت انتشلتهُ.

والام الغارقة باحزانها. المفجوعة باعز اولادها. والاب المثقل بهمومه واتعابهِ. والتاجر الذي اسودت الدنيا بوجهه خوفاً من خسارة. وفقد كرامة. والراهب الذي ينوء تحت احمال القانون بالعيشة الفائقة الطبيعة. والكاهن المثقل بمسؤلية النفوس الموكولة لعنايته. يرون مريم ام يسوع بقربهم عند تلاوة فرضهم

الكهنوتي. وترتيل طلبتها. واصدار النوافذ اليها. وممارسة فرض اخويتها المشيدة على اسمها. وتلاوة ورديتها.

في كل زمان وفي كل مكان نرى قربنا هذه الام القدوسة التي منّ الله علينا بها. لتنجينا من كل خطر وشدة. ومن الازمنة الصعبة.

فيا ايها المؤمنون!

احملوا ايقونتها. فتكون لكم ايقونة عجائبية.

صلوا مسبحتها. فوان تكن النفوس الفاترة بالعبادة تجد صلاة المسبحة مزعجة. مضجرة. فالنفوس التقية الحارّة بعبادة ام الله تؤمن بان ليس للحب سوى كلمة واحدة. وترداد كلمة الحب لذيذة هي. ولا تسمّى بلغة الحب مراجعة مكروهة.

حبوا العذراء يا مؤمنون. وحبوا السلام عليها. فهذا السلام يذكرها بايامها في الناصرة لما اتى جبرائيل وسلّم عليها ففرحت.

حبوا خصوصاً يوم السبت من ايام الاسبوع لان بهذا اليوم قد حملت هذه الام السماوية في نفسها ما حتم على بني البشر. فليحبها الجميع لانها تألمت لاجل الجميع.

قد تعذبت يوم السبت عذاباً اقوى من عذاب يوم الجمعة العظيمة.

في نهار الجمعة كان المسيح مائتاً في حضنها!!

واما في يوم السبت فكان متغيباً عنها في القبر. حبيبها كان محجوباً عن نظرها!!!

فلتكن اعياد العذراء بين ايام اعياد ديانتنا المقدسة باحتفال الابهة. والعظمة. ونقاوة القلب. لان في اعيادها هي تقترب منا بزيادة. وتفتح لنا قلبها المفعم حناناً. وتبسط علينا يديها المملوءتين احساناً!

وليكن الهيكل المخصص لوالدة الاله بين هياكل الكنائس محط انظار العقول. والاجسام. فليتقدم العابد الى هيكلها وهناك يشعر بوجودها العذب قريبة منه وليركع

امام هيكلها. تحت اقدام تمثالها. مطأطئاً الراس مكتوف اليدين. منخفض النظر. فيرى العذراء منحنية عليه فاتحة ذراعيها وبالابتسام تقول له: انا ام يسوع وامك!

قل لي ما الذي يتعبك. وانا افرّج عنك! ماذا تبتغي فانا اعطيك! ما هي الاخطار التي تحيط بك. فانا انجيك. اسرد لي مرغوباتك كلها فاذا كانت توافق خلاصك فاني استجيب لك.

فمن وجدني فقد وجد الحياة

العذراء والانجيل

مريم في قانا الجليل

لا لوم على المسيحي اذا اعترته بعض الدهشة لما يسمع المسيح يقول للعذراء مريم امه القدوسة «ما لي ولكِ يا امرأة»

فمتى عرف بان هذا التعبير هو عبارة درج عليها الشعب في ذلك الزمان ومعناها: — لسنا بمسؤولين عما حدث لا انتِ ولا انا — ينفي عندئذٍ من مخيلته كل تحير وتعجب.

واما قوله «يا امرأة» فلما يزيد دهشة قارىء الانجيل. لكن من كان له بعض المام باللغة الآرامية السريانية يتحقق بان لفظة امرأة هي اعظم لقب حب يعطى لتعظيم ام وبرهاناً على ذلك هو: ان يسوع وهو على الصليب في ساعته الرهيبة لما اراد ان يظهر لامهِ عند فراقها كلما حوت حياته من المحبة لها. لم يجد وهو غارق ببحر الحزن والحب في قلبه المجروح كلمة ابهى. ولقباً اشرف من لفظة «امرأة» «يا امرأة هوذا ابنك»



حسناء فلسطين

الفتاة الوحيدة

شاهد الناس في ربوع عاصمة فلسطين غادة وحيدة من بنات اليهود كلها امل وكلها تعزية وسلوى. من حسب شريف. واصل كريم يتحدر من سلالة الملوك والامراء مجملة بجمال النفس والجسد. جمالاً يحير العقول. فلا زنبقة الوادي في طهرها. ولا بنفسجة الغاب في تواضعها. ولا وردة الرياض في لونها وعطرها. تماثل شيئاً من حمرة وجنتيها. وشديد سطوع محياها وطيب عرفها. فلقبوها «بالوردة السرية»

واذ اضحت العيون على هذه الغادة راصدة. والقلوب اليها منجذبة. انتشر خبرها فقصدها مئات الملايين من البشر على اختلاف طبقاتهم. وضعاء وعظماء. وسادات واغنياء. وفلاسفة وعلماء. ليتمتعوا بنور طلعتها ويشاهدوا حلاوتها ومحاسنها وقد تغزلت الشعراء بنقائها وطهرها. وترنموا بشكرها ومدحها. فمنهم من مثلها بوردة الشارون والسوسن. وبعضهم وصفها قال: عيناها كحمامتين — اعني بالوداعة — وشعر رأسها كارجوان ملك مربوط بخصل. اسنانها كقطيع مجزوز قد طلع من الاغتسال. شفتاها كسمط من القرمز يقطران شهداً. خداها كفلقة رمان. عنقها كبرج من العاج. قامتها مثل النخلة. وثدياها مثل العناقيد. انفها كالتفاح. والمياه الغزيرة لا تستطيع ان تطفىء محبتها. ومنهم من مثلها بكوكب الصباح. وبعضهم ببدر الليل. وغيرهم بنجوم السماء وكل هولاء قد ضلوا في تشابيهها فمن اين للشمس وللمخلوقات كلها ان تماثل جمالها.

لقد كان لهذه الفتاة الفتانة ابوان يعيشان باسمى درجة الصلاح يدللانها ما استطاع حبهما الوالدي. وحنانهما الابوي ولا سيما وقد وجدا فيها جميع الصفات التي تفرّح قلبيهما. ولما بلغت سنّ التثقيف قدماها لدرس العلوم وتفسير الكتب. فاحرزت كل العلم وفنونه ودعيت «كرسي الحكمة»

وما مرّ سنين قلائل حتى يتمّ الموت هذه الحسناء فبكت تلك العينان التي ما كوّن الخالق نظيرهما. ولا رأت البشرية ولن ترى مثيلاً لها. ونفذ يا للحسرة في قلبها سهم الفراق الابوي امل صباها. وكان لابويها قصران الاول في قرية صفورية قرب ناصرة الجليل تسكنه الان راهبات القديس يواكيم ويقمن فيه الصلوات. والثاني باورشليم قرب هيكل سليمان يقطنه رسل الثقافة الافرنسيون المدعوون الاباء البيض المخصصون انفسهم في هذه الديار لاسمى غاية مقدسة وهي اعداد النفوس الى الحياة الفائقة الطبيعة والى نشر الانجيل.

واذ اصبحت حسناء فلسطين هذه يتيمة او شبه يتيمة بين يدي نساء تقيات وعذارى حكيمات كنّ يسكنّ حيث تربت في جناح قصر المدينة واصلنَ العناية بها تحت

رعاية رجال الدين وعلماء الامة.

وما كادت تصل الى الخامسة عشرة من عمرها حتى اهتمَّ هولاء كما اهتممنَ اولئك بايجاد عريس لها. وبعد السعي والتفتيش. رأوا رجلاً يكاد يصل الى الثلاثين من عمره ينتسب اليها. وتربطه اواصر القرابة بها. سهل الطباع. عفيف النفس. طاهر الجسد والنية. لطيف الظل. طيب الروح مشتملاً على جميع الصفات التي ترضي السماء والارض والملائكة والبشر شعاره. «التواضع والشغل»

فقبل هذه الخطبة بالرضى والارتياح. كما قبلته هي بوحي من السماء بالرضوح والتسليم لانه من انسبائها وبخط مستقيم يتحدر من نسل الملوك العظام يجمعهما جد واحد لاسيما واذ رأته قد ورث القداسة. منذ الحداثة.

لكن هذا الخطيب يا للحسرة! فوان كان من نسل شريف. واصل وجيه ومتحدر من سلالة الملوك فالايام بتقلباتها السياسية. وظروفها المتغيرة اوصلته الى ان يشتغل عاملاً لبكتسب معاشه. بكد يمينه. وعرق جبينه. ولقد كان يشتغل مع عملة ذاك القصر الذي تربت فيه هذه الصبية.

ومن بعد اتمام حفلة الخطبة بابسط طريقة وافقرها. توجهت الفتاة الى بيت سيدة من اقاربها لان شريعة ذلك الزمان كانت تقضي على الخطيبة الاحتجاب عن خطيبها بضعة اشهر وبعد ذلك يستلمها وهذه عادة لم تزل جارية عند يهود فلسطين حتى الان. اما خطيبها فظل بذاك القصر العظيم يتابع شغله بمهنته الوضيعة. ليحصل معاشه ومعاشها.

وفي احد الايام السعيدة الذي هو اليوم الخامس والعشرين من شهر آذار الفتان شهر الربيع والزهور. بينما كانت هذه الابنة منفردة في غرفتها عند قرابتها وكانت قد اطالت في ذاك اليوم سهرها بالهزيز والتأمل. والصلاة والتسبيح لرب الارباب ليرسل الخيرات. ويفيض الرحمات وينقذ البشر من الشدائد والاحزان. هي ساجدة صاغية. والا بنور شعَّ بتلك الغرفة بغتة كسف نور قنديلها الضئيل. فالتفتت لدى هذا المشهد متعجبة راجعة برأسها وصدرها الى الوراء فرأت ملاكاً غير بعيد عنها سوى بعض

خطوات لابساً جسد شاب يلمع بجمال فتان شعره ذهبي مسترسل على الأكتاف. وعينان كالنجوم لكنهما مخفوضتان خفضة الاحترام والاحتشام بيمينه زنبقة ناصعة البياض رمز الطهارة والنقاء. وباقدام خفيفة خرّ ساجداً امامها وبادرها بالتحية قائلًا «السلام» وكلمها باللغة الآرامية السريانية انما بلهجة سماوية كلاماً كله شرف وانعام.

فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عساه يكون هذاالسلام.

أما هو فبصوت خافت رقيق طيب خاطرها. وقص علة مجيئه اليها. سارداً بلهجة سماوية رغبة السماء منها.

واذ تحققت ما يبتغيه منها العلاء ابتسمت ابسامتها اللطيفة وتضاعف نور محياها وتمتمت بالعذوبة شفتاها كلمة اهتزت لها الارض والسماء وولت لها الجحيم.

واما هذه الكلمة التي لفظتها تقولها كما قالتهاهي بلغتها الآرامية «نهوي لي» יהי כן ترجمتها باللغة اللاتينية Fiat وبالعربية «فليكن لي» !!

كلمة ترددها مئات الالوف من الشفاه على نغمات اصوات الاجراس عند الصبح والظهر والمساء. وعندما نطقت هذه اللفظة حل بحشاءها «سرٌّ» لا يصدقه الا من اعطت له السماء قوة ونعمة التصديق بان العذراء تلد والبتول ترضع وتصير اماً !!

فلا الانبياء ولا الملائكة. ولا الشاروبيم ولا روساء الملائكة اتصلوا الى فهم هذا السر الا بنور الايمان. ولما قالت «فليكن» انصرف من عندها الملاك.

واذ كانت فرصة احتجاب الخطيبة عن خطيبها قد انتهت. جاء ذاك العفيف لاستلام زوجته المحبوبة. ولكن يا للعجب !! ما وصل الى قرب عتبة باب البيت حيث هي فتاته وهبت تلك الحسناء لملاقاته والترحب حتى وقع نظره العفيفْ على جسمها الطاهر وكان قد بان عليه علامات الامومة. فانتفض في داخله اضطراباً. واختلج تعكراً. وبالحال نفى من ذاكرته التفكر بسر هذه الامومة العجيب مهتماً بالرجوع بها تحت طي اشد الكتمان الى اولئك العذارى اللواتي تربت عندهنّ محترصاً على كتم السر لئلا تصاب بأذى. وتنفذ فيها قوانين الرجم فتموت تحت ضربات حجارة الراجين. وغضب الجلادين

كما كانت تنص شريعة ذلك الزمان.

أما هي فكتمت حالها اتضاعاً ولم تشاء ان تقص عليه ما كان الى ان تكشف له الاعالي عن سر حبلها.

ومن بعد ان قدمت طعام العشاء واكل. ظلّ الهمّ بقلبه. واضطرابه لم يفارقه. فدخل داخل البيت واستغرق حالاً بالنوم من جرّاء تعب مشي مسير اربعة ايام على الاقدام ولهول ما قاسى قلبه تعجباً في من هي فخر النساء. قاصداً ان ينهض باكراً قبل ادبار النجوم ويرجع سراً بتلك التي هي اقدس من ساروفيم ليفسخ بالطريقة الرسمية خطبته بها.

ولكن يا للدهشة !!! لم يضع رأسه على وسادة النوم ويستولي النعاس على عينيه حتى اتاه صوت من العلاء بواسطة ملاك طيب خاطره وكشف له الحجاب عن سر حبلها الطاهر.

فنهض من رقاده مسروراً. وباكمل السعادة مغموراً راضخاً لصوت السماء وبمنتهى الاعتبار ومزيد الاهابة والاحتشام تقدم من تلك السيدة وقدم لها تهاني الاكرام قائلاً: حقاً انكِ اشرف من الساروفيم واوفر مجداً بغير قياس من الكاروبيم. فلكِ ينبغي التعظيم.

أما هي فأي قلم يتمكن ان يصف عظم اعتبارها خطيبها الذي اختارته السماء لحراستها وللقيام بأَودها؟

ان عواطف المحبة السماوية التي تكلم عنها الانجيل والتي ينالها من استحق من بعد هذه الحياة ذلك العالم والقيامة من بين الاموات التي هي ليست من دم ولا من مشيئة لحم ولكن من الله ولدوا قد ابتدأت على هذه الارض بعيشة ومساكنة هذه الحسناء خطيبها العفيف وقد تم فيهما قول الكتاب « فلا يزوجون ولا يتزوجون بل يعيشون مثل ملائكة الله »

لم تكن البشر تفهم قبل ايام المسيح معنى المحبة الطاهرة حتى انها لم تكن تقرّ

بان الانسان يتمكن ان يرتبط بحب نقي منزه عن الاهواء البشرية. والاميال الجسدية.

واما عند ائتلاد هذه الحسناء هذه الفتاة الوحيدة الفريدة البرية من كل العيوب واتحادها بخطبة خطيبها. وحلول السر العجيب في حشائها فقد ظهرت عواطف الحب الفائقة الطبيعة بين بني البشر وانتشرت بوم ولدت وهي بتول وصارت اماً وهي عذراء.

ولما مضى على حبل هذه الفتاة السري تسعة اشهر ولدت ابنها المولود من الاب قبل كل الدهور. والموعود بهِ منذ القديم رجاء الاباء وانتظار الشعوب كلمة الله المتجسد وهو المسيح.

يسوع

وحسناء فلسطين قد عرفتها البشرية بانها هي ابنة حنه ويواكيم بن داود وهي التي استحقت ان تقدم لابناء آدم الاله المتجسم مخلص العالم واسمها سيدتنا العذراء

مريم

واما خطيبها العفيف البتول فهو ابن يعقوب بن ماتان بن داود حارس الولد وامه واسمه

مار يوسف

